

# توضيح

هذان بحثان منفصلان، كانا اختبارين في مادة الأدب الحديث، بينهما مدة زمنية:

الأول: اكتب بما لا يتجاوز خمس صفحات عن «صدمة الحداثة».

الثاني: الحداثة مفهوم حضاري يعني أمرين اثنين:
١- إن هذا الشعر هو الصياغة الجمالية للإنسان العربي، لا في همومه العاطفية أو احتياجاته الاجتماعية، وإنما في ثورته الحضارية المعاصرة.
٢- إن هذا الشعر (العربي المعاصر) أحد مقومات الحضارة العربية الحديثة، وليس وجهاً سياسياً». ناقش هذه المقولة.

وبما أن البحث الأول كان مقيداً بخمس صفحات فقد جاء مقتضباً لم أتوسع فيه، وحين كتبت البحث الثاني لم يصح أن أدخل فيه شيئاً مما كتبت في البحث الأول، لأنهما اختباران للمادة نفسها وتشرف عليهما الدكتورة نفسها، مع أن الثاني مفتقر إلى الأول ومنطلق منه، فكأنما الأول تمهيد للثاني، فكلاهما مرتبط بالحداثة وأثرها في المجتمع وفي الأدب الذي يخص هذا المجتمع، فلما أنجزت البحث الثاني رشحته مشرفة المادة فضيلة د. إيمان الطريفي للنشر في مجلة الجامعة. ولو أنني أعددته للنشر في المجلة من الأساس لأدخلت فيه فقرات من البحث الأول تمهد له، فالأول مؤسس للثاني، فجمعتهما هنا لتكون الصورة أوضح وأكثر جلاء.




# صدمة الحداثة

إعداد الطالب مصطفى كمال الزايد

بإشراف: د. إيمان الطريفي حبيب

جامعة الزيتونة الدولية - سورية

كلية الدراسات العليا والبحث العلمي

ماجستير لغة عربية

بسم الله الرحمن الرحيم

## مفهوم الحداثة

الحداثة لغةً: الجِدّة.

واصطلاحاً: «تجديد ما هو قديم. وهو مصطلح برز في المجال الثقافي والفكري والفني ليدل على مرحلة التطور التي طبعت أوروبا خاصة، في مرحلة العصور الحديثة»،[١] ثم أصبحت صبغة عالمية وسمة تاريخية لمرحلة القرن العشرين وما بعده.

## تمهيد

كانت الكنيسة الكاثوليكية تحكم أوربا سياساً واقتصادياً واجتماعياً وفكرياً، فكانت تلزم الشعوب فكرها الذي مثّل بضيقه سجناً للعلماء والمفكرين يحاصر طرق تفكيرهم وتفسيرهم للظواهر الكونية والإنسانية،[٢] بل يحاصر حتى العلاقات الشخصية بين أفراد الشعب، فكانت حاجزاً أمام أي تطور فكري.

## صدمات ما قبل الحداثة:

في القرن الثاني عشر أراد ملك إنكلترا هنري الثامن الزواج من امرأة ثانية، فلم يسمح له البابا، فهدده بترك المسيحية واعتناق الإسلام، ثم انفصل عن الكنيسة الرومانية. وفي القرن الرابع عشر أحدث سقوط القسطنطينية بيد المسلمين - الذين يعدهم النصارى كفاراً - زلزلة في العقيدة الشعبية المسيحية. وجاءت الرحلات لتكشف لهم أنهم ليسوا وحدهم الذين يملكون منظومة أخلاقية، وأن هناك حضارات عالمية عريقة، وأن قساوستهم خدعوهم حين أخبروهم بأن بقية الشعوب همج في درجة الحيوانية، هذه الصدمات الدينية، التي زعزعت الجانب العقدي عندهم، كان لها أثرها في تهيئة المسيحيين لاستقبال الحداثة المتمثلة بالحركة الإصلاحية البروتستانتية، التي حمل لواءها في مواجهة استبداد الكنيسة التقليدية مارتن لوثر، في القرن السادس عشر، وأقام الكنيسة البروتستانتية التي تخالف الكنيسة التقليدية بشدة في الممارسات والسلطة، ومثلت قمة الدعوة إلى التجديد داخل الكنيسة الكاثوليكية. ثم ظهرت سلسلة حركات دينية التقت جميعها في رفض سلطة البابا وسلطة الكهنوت، وكان للبروتستانتية أثر قوي في الثقافة والسياسة والفكر في أوربا، إذ تبعتها أربع صحوات كبرى، حتى يمكننا القول إنها هي التي مهدت لعصر التنوير في القرن الثامن عشر، الذي مهد بدوره للنهضة الفكرية الأوربية التي قامت عليها مدنيّتها في ما بعد، وظهور اللبرالية الأوربية التي تمثلت بميل بعض الكتّاب والمعلمين إلى دمج الفكر المسيحي في روح عصر التنوير، وكانت اللبرالية التقليدية قد نشأت على يد الفيلسوف جون لوك، ثم طورها عدد من المفكرين وعلماء الاقتصاد، وبنت نظرياتها الاقتصادية على طرح الفيلسوف آدم سميث في كتابه «ثروة الأمم»، وعلى القانون الطبيعي

---

[١] ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

[٢] أعدم الفيلسوف برونو حرقاً لتبنيه نظرية كوبرنيكوس في دوران الأرض وتهكمه بالمعالجة اللاهوتية المثالية للإيمان الغافل الخالي من التفكير، قصة الحضارة، ول ديورانت، ج٣٠، ص٣٠٠. وكاد غاليلو يحرق لقوله إن الأرض تدور حول نفسها، لكنه تراجع في اللحظات الأخيرة خشية الحرق، قصة الحضارة، ول ديورانت، ج٣٠، ص٢٧٩.

في الحقوق البشرية، والمدرسة النفعية، ومبدأ التقدم الذي يطلق النشاط الاجتماعي ليعمل الناس في حرية وتعاون. وبسقوط الباستيل، واندلاع الثورة الفرنسية، التي رفعت شعار: «اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس»، ليدل على أهداف الثورة، وتضمنها التخلص من الاستبداد المتمثل بالسلطتين السياسية والدينية، عُدّ ذلك اليوم بدء عصر جديد ومفصلي في التاريخ المعاصر.

## انطلاق الحداثة في أوربا:

خلال تلك التطورات اخترعت المطبعة ١٤٤٠م، والآلة الكاتبة ١٧١٤م، وفي (١٧٣٦–١٨١٩م) المحرك البخاري، الذي كان ثورة في عالم الصناعة، والمواصلات، وتوالت الاختراعات كأنها في سباق، فاخترع المحرك الانفجاري، والمولد الكهربائي، فكانت النهضة الأوربية في أوجها، وهي مستمرة إلى اليوم. ومع التطور المادي وظهور المخترعات الحديثة والنهضة المدنية الأوربية، وتطور العلوم والفلسفات لتعطي تفسيرات للظواهر الكونية والإنسانية، وقضايا الوجود، بعيداً عن الموروث الديني، وبروز منظرين لها سعوا إلى مساندتها وتنميتها، عبر نظرات فلسفية صدرت عن تجارب أو آراء أو أهواء فردية، غُلغِلَتْ، من خلال الفلسفة، في الفن والفكر والأدب والدين، ثم عولمها التوسع العسكري الأوربي باحتلال بلدان كثيرة في العالم، ونقل هذه الثقافة عبر المدارس والجامعات والبعثات الدراسية إلى أوربا. وخلال أحداث الثورة الفرنسية بزغ نجم نابليون الذي أصبح إمبراطوراً في العقد الأول من القرن التاسع عشر. وقبل الحربين العالميتين، ومع تطور الصناعة في أوربا، كانت هناك صراعات على المصالح الدولية في الشرق بين الدول الأوربية، وحين طمحت أنظار الأوروبيين إلى الشرق كانت أهدافهم التوسعية مادية محضة؛ للسيطرة على موارد المواد الأولية التي تغذي بها صناعتها الحديثة، وتوجد أسواقاً لتصريف إنتاجها، وتجنيد أبناء هذه البلدان في حملاتها التوسعية في البلدان الأخرى، كما فعلت بريطانيا في الهند، ولا سيما بعد اختراع المحرك الانفجاري وحاجته إلى النفط الذي ظهر في الشرق الإسلامي بكميات هائلة. وكانت النظرة الأوربية إلى الشرق الإسلامي نظرة عدوانية منذ قيام الحروب الصليبية، بل منذ سقوط القسطنطينية، لكنها تحولت إلى أطماع بعد النهضة الأوربية التي شملت معظم المستويات. كان الشرق وقتها يعاني الفقر والجهل، مع وجود طبقة مترفة تمثلت بالحكام وحاشياتهم والمتزلفين على أبوابهم من شعراء وأدباء سخّروا طاقاتهم لمدح الطبقة الأولى، طمعاً في عطاياهم، وطبقة مفكرين لم يستطيعوا أن يغيروا شيئاً، فاعتزلوا الناس وانصرفوا إلى العبادة والتأليف في العلوم العقلية، التي كان معظمها شروحاً أو شروحاً على شروح، غاب منها الابتكار وقلَّ التجديد، بل لا يكاد يكون له أثر في نتاجهم. أما الاختراع والقضايا العلمية فليس لها وجود في أهل ذلك العصر. وكان في طبقة الشعب تجار منشغلون بترفهم، وبقية الشعب من صغار الكسبة يسعون وراء لقمة العيش في حياة رتيبة، لا اهتمام لهم بسياسة ولا بعلم.

في تلك الفترة كان الشرق الإسلامي، المتمثل بالخلافة العثمانية، مشغولاً بمعالجة الفتن الداخلية والتمردات المستمرة للإنكشارية، والتحركات القومية التي تنخر في جسد الدولة، غافلاً عن الثورة الصناعية والعلمية التي نهضت في أوربا فأنهضتها وأعطتها قوة أذكت طموحاتها في السيطرة على موارد الشرق المادية والبشرية، في ما بعد، فكان الشرق يعيش حياة اعتيادية بعيدة عن فكرة التطوير والتقدم الصناعيين، تكاد تكون غفوة طويلة، والعالم ينهض بهمة ونشاط من حوله.

## صدمات الحداثة في الشرق الإسلامي:

كانت سيطرة السلاطين العثمانيين على مصر صعبة، لاستمرار نفوذ المماليك والطائفة المصرية العسكرية المملوكية، التي حكمت البلاد قروناً، فظلت مصر تتمتع بحكم شبه ذاتي في ظل المماليك. وكانت مدافع نابليون أولى الصدمات التي تلقتها مصر، وهي تقصف من شواطئ الإسكندرية، ودخل نابليون مصر بالقوة المصحوبة بالخدعة، فادعى الإسلام، ونشر منشوراً يعلن فيه إسلامه وأهدافه التي جاء من أجلها وهي تخليص المصريين من ظلم المماليك، فضمن بذلك انقسام الشعب بين مؤيد ومعارض، ما أضعف

المقاومة الشعبية وقلل أعداد المشاركين فيها. وبذلك كان احتلاله لمصر سهلاً وبأقل التكاليف البشرية. وبدخول نابليون دخلت معه الآلات والمخترعات التي لم يعرفها العرب ولا المسلمون، وعلى رغم وجود المطبعة في لبنان وحلب قبل حملة نابليون، إلا أن مصر لم تكن تعرفها وقتها، فكانت المطبعة من بين الآلات التي أسهمت في الصدمة التي تمثلت بالقوة العسكرية والعلمية والمدنية. وخرج نابليون من مصر، مصطحباً معه كتباً ومخطوطات علمية من بينها كتاب في الفقه المالكي استمد منه صياغة القانون الفرنسي، وترك خلفه حامية فرنسية تسيطر على إدارة الدولة بقيادة الجنرال كليبر الذي قتله الطالب الأزهري سليمان الحلبي، ليخلفه الجنرال مينو، ولم يستمر الاحتلال الفرنسي لمصر أكثر من ثلاث سنوات، إذ جاءت حملة عثمانية لتحريرها بقيادة الألباني محمد علي باشا، الذي قفز على السلطة فور تحرير مصر من الفرنسيين عام ١٨٠٥، وظلت مصر تحت حكم أسرة محمد علي باشا، مع تبعية اسمية للسلطنة العثمانية.
بعد هذه الصدمة استيقظ المصريون من سباتهم، وأدركوا وجوب مواكبة ركب المدنية العالمية، فقرر محمد علي باشا إرسال البعثات الدراسية من الطلاب المتميزين إلى أوربا لجلب العلم إلى مصر، فكان الدارسون يرجعون بقسط من العلم وأقساط من الفكر الغربي والفلسفة الحديثة، والآراء الاستشراقية، ما أحدث صدمات جديدة للمجتمع المصري المسلم؛ بتعارض هذا المجلوب مع الإسلام، بعضه في الفكر، وبعضه في القيم، وبعضه في العادات والتقاليد والأعراف. وبعد فوز الإنكليز بمشروع قناة السويس، الذي أدى في النهاية إلى احتلال مصر، استطاع حملة الفكر المجلوب - في ظل هذا الاحتلال - إيجاد أنصار لهم وتكوين جماعات تحمل هذا الفكر وتنشره وتذود عنه في ظل الدعم الإنكليزي.

## صدمة الحداثة في الجانب الديني:

في عام ١٨٧١ وصل إلى مصر جمال الدين الأفغاني منفياً بسبب فكره المعتزلي وآرائه الغريبة، إذ كان منبهراً بالغرب وقوانينهم، ولقي ترحيباً من الدولة ومُنح بيتاً وراتباً شهرياً، وكان ذا ثقافة واسعة ويعرف عدداً من اللغات، «وأخذ عن علماء البراهمة والإسلام العلوم الشرقية والتاريخ، وتبحر في لغة السانسكريت وبرز في علم الأديان حتى أفضى إلى الإلحاد والقول بقدم العالم، زاعماً أن الجراثيم الحيوية المنتشرة في الفضاء هي المكوِّنة بِتَرَقٍّ وتَحَوُّرٍ طبيعيين ما تراه من الأجرام»،[٣] وبذلك أراد جر الفكر الإسلامي إلى موافقة فرضية داروين في النشوء والارتقاء، و«كان شيعياً جعفري المذهب».[٤] «وكان إذا تعاطى مسكراً فقليلاً من الكونياك»،[٥] واستطاع، بمحتوى خطابه العلمي والعقلي، وفكرة التجديد الديني لمواكبة العصر، أن يستقطب الشباب المتحمس، فالتف حوله عدد منهم، «فأسس الحزب الوطني الحر، وأنشأ جمعية «مصر الفتاة»، وكان معظم أعضائها من شبان اليهود، فنادى بوحدة الأديان، والسلام العالمي، وأن الاشتراكية من الإسلام، وأن الأمة هي مصدر الحكم. وكان يترأس المحفل الماسوني «كوكب الشرق»، ويعارض الشريعة فيقول: إن من أعم علل الشرق أن المرأة فيه ليست متساوية مع الرجل في الحقوق والواجبات، «وكان يقول: عندي؛ لا مانع من السفور إذا لم يُتَّخذ مطية للفجور»[٦]، وكان له نشاط ماسوني، وكانت الماسونية وقتها ترفع شعارات إنسانية، وكان ألمع تلاميذه محمد عبده، الذي سار على منهج أستاذه في محاولة سحب الإسلام إلى موافقة الفرضيات الغربية، وكان المستشرقون قالوا إن جيش أبرهة الذي جاء لهدم الكعبة فشل بسبب تفشي مرض الطاعون بين أفراده، فقال محمد عبده: «فأرسل الله على جيش أبرهة طيوراً تحمل كراتٍ طينيةً موبوءة بمرض الطاعون، فألقتها عليهم، فتفشى المرض فيهم»،[٧] فكان التلميذ أشد غلغلة لفكر الغرب في الإسلام؛ إذ أدخله في القرآن الكريم، لذلك قال بلنت: «أما عباءة المصلح نفسه

---

[٣] تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، محمد رشيد رضا، ج١، ص٤٣.
٤ جمال الدين الأسد أباذي، عبد المنعم حسنين، ص ٩.
[٥] المصدر السابق، ص٤٩.
٦ زعماء العصر الحديث، أحمد أمين، ص١١٤.
٧ تفسير المنار، محمد رشيد رضا، تفسير سورة الفيل.

- يعني جمال الدين - فقد ألقيت على عاتق أقوى من عاتق صاحبها الأصيل؛ الشيخ محمد عبده، وقد خلف جمال الدين في زعامة حزب الإصلاح الحر في الأزهر».[٨] فنشأ في مصر صراع بين أنصارهما وبين المحافظين، الذين رفضوا الحداثة الموبوءة بإلحاد الغرب، «فقد أصبح قادة الثقافة الإسلامية وجندها، بل أكبر من ذلك: فقد أصبح قادة الثقافة في العالم الإسلامي، وأصبح جنودها أيضاً تبعاً يأتمرون بأمر القادة من أعدائهم، عارفين أو جاهلين، أنهم هم أنفسهم قد انقلبوا عدواً للعقل الإسلامي الذي ينتسبون إليه، بل الذي يدافعون عنه أحياناً دفاع غيرة وإخلاص. لم يكن غرض العدو أن يقارع ثقافة بثقافة... بل كان غرضه الأول والأخير أن يترك في ميدان الثقافة في العالم الإسلامي جرحى وصرعى لا تقوم لهم قائمة، وينصب في أرجائه عقولاً لا تدرك إلا ما يريد لها هو أن تدرك، ولا تبصر إلا ما يريد لها هو أن تبصر، ولا تعرف إلا ما يريد لها هو أن تعرف»[٩].

## صدمة الحداثة في الجانب الأدبي:

كان التراث الأدبي العربي قد أشبع بحثاً وتنقيباً وتنقية من السابقين في العصر العباسي، وحدثت بعد ذلك تغيرات في الأدب العربي، فالنتاج الثقافي لكل أمة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحال الأمة من قوة وضعف، وخلال فترة الدول المتتابعة تأثر الشعر بحال الأمة، وارتبط أكثره بالقضايا النفعية، فغلب المدح على أغراضه، والنَّظمُ على نمطه، وانحصر الابتكار في الشكل، من جناس وطباق وترصيع وزخارف لفظية يتبارى بها الشعراء، ويحاول كل منهم أن يأتي بما لم يأت به غيره، في نوع من الترف العقلي الذي جعل من ألفاظ العربية والعلاقات بينها حلبة واسعة لهذه الاستعراضات، وفي حين كانت هذه المحسنات اللفظية تأتي عارضة بشكل اعتباطي في العصور السابقة، أصبحت مقصودة لذاتها، وصار الشعراء يبتكرون في الشكل ما يقرأ أفقياً مدحاً، وعمودياً ذماً، أو من اليمين إلى اليسار مدحاً وبالعكس ذماً، بل تمكن بعضهم إلى نظم بيت مستقيم المبنى والمعنى والنظم بصورة لا يظهر فيها تكلف، في بيت يقرأ من اليمين إلى اليسار وبالعكس باللفظ والمعنى نفسهما، وهو قول القاضي الأرَّجاني:

مودته تدوم لكل هول     وهل كل مودته تدوم

فكان كل ذلك إبداعاً عقلياً حقيقياً ينم عن عبقرية لم يحسن أصحابها استغلالها، فصرفوها إلى التجديد في الشكل الشعري على حساب المضمون، وهيمن ذلك النمط على عقلية الأدباء والشعراء والجمهور، فلا يستحسن شعرٌ ثري المضمون إذا خلا من هذه المحسنات اللفظية.

وكانت معظم الأغراض الشعرية في المدح والهجاء والغزل والفخر والتصوف، فمضامينها تكرار لمعاني السابقين، وإنما التجديد في الشكل فحسب. ويستثنى من ذلك شعر بعض الصوفية الذي حمل مضامين تعبيرية جديدة ركزت على المعاني وأهملت الشكل الزخرفي والعمود التقليدي في مقدمات القصائد، والتزمت الدخول المباشر فيها، كشعر ابن الفارض (ت ١٢٣٤م) بمصر ومحمد مهدي الصيادي (١٨٠٥-١٨٧٠م) بالعراق، وعمر اليافي (١٧٥٩- ١٨١٨م) بالشام، إلا أن انتشاره كان في بيئة أهله فحسب.

وإلى جانب محاولات سحب الدين إلى ضفة الفرضيات الغربية، كانت هناك محاولات مماثلة في الأدب العربي لجره إلى الانضواء تحت مضامين الأدب الغربي أو مواكبته، فكثر انتقادهم للشعر العربي وعموده الذي التزم مقدماتٍ ذهب عصرها، واتهموه بالجمود، وتمثل ذلك بمدرسة الديوان التي مثلها عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني وعبد الرحمن شكري، ونهجت هذه المدرسة النهج الرومانسي في شعرها، ومن أبرز سماتها: الدعوة إلى التجديد الشعري في الموضوعات، والاستفادة من الأدب الغربي، والاطلاع على الشعر العربي القديم، والاستعانة بمدرسة التحليل النفسي، والاتجاه إلى الشعر الوجداني. كما نشأت حركة الشعر الحديث (الحر) «التي كانت مزيجاً من تراث الشرق العربي وحداثة أوربا والغرب،

---

٨ التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر، مستر بلنت، ص٧٦، نقلاً عن كتاب العصرانية، لمجموعة من المؤلفين.
٩ أبو فهر محمود محمد شاكر، مداخل إعجاز القرآن، ص١٤٧ – ١٤٨.

لذا لم يكن ثمة جديد في هذه الحركة. وإن كل ما قام به الشعراء النقاد موضوع هذه الدراسة. كان محاولة توفيق بين الذهنية الغربية والموروث العربي عبر الذهنية العربية».[١٠] إضافة إلى كسرها النمط الشكلي للشعر العربي المتمثل بنظام الشطرين المتساويين. فكان «الربط بين الحداثة والتحديث، هو الخديعة الكبرى التي قام بها الحداثيون العرب عندما وجهوا الرغبة الشعبية الشاملة في التحديث، بعد الهزيمة العسكرية، في اتجاه تبني الحداثة دون أن يدركوا، أن التحديث لا يعني الحداثة بالضرورة».[١١] كما أسس أحمد زكي أبو شادي جماعة «أبولو» التي أصدرت مجلة باسمها عام ١٩٣٢، ونشرت لشعراء مشهورين كشوقي وحافظ ومطران والرافعي وسيد قطب، ولشعراء مغمورين أيضاً، وعلى رغم أن عمر المجلة لم يتجاوز سنتين وبضعة أشهر، فإنها أثرت في الأدب العربي الحديث تأثيراً كبيراً، إذ نشرت أكثر من سبعمئة قصيدة، وأربعمئة دراسة تحليلية ونقدية. ومقابل هؤلاء ظهر أدباء وشعراء ذوو نزعة وسطية، تسعى إلى التجديد في إطار المحافظة على الهوية، فكانت مدرسة الإحياء، التي كان رائدها محمود سامي البارودي، ومن أشهر شعراء هذا النهج أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وأحمد محرم، وعلي الجارم، ومحمد عبد المطلب، وتبعهم كثير، كالرصافي والزهاوي في العراق، وخليل مطران في الشام ومحمد بن عبد الله العثيمين في نجد. والمقصود بمسماها «مدرسة الإحياء» إعادة الحياة إلى الشعر العربي الأصيل، فاستلهموا فكر الأمة وصراعها الفكري والحربي، وظهرت تجاربهم الشعرية الذاتية المتلبسة بالمشاعر الداخلية، واستلهموا أحداث العالم الإسلامي، وتحدثوا عن الخلافة، ومعظمهم يؤيدها، وقد رثاها شوقي حين سقطت، وله ولمحمد عبد المطلب وحافظ شعر كثير ينادون بها. كما كان من هؤلاء من يهجوها كالزهاوي الذي كان متأثراً بمدرسة الأفغاني، فكان يجاهر بإيمانه بنظرية التطور، ودعا إلى نزع حجاب النساء، في قوله:

قـال هـل في السفـور نفع يرجـى     قلت خيـر من الحجاب السفـــور

فلما عوتب في قوله هذا قال: عجزت عن إشعال الثورة في الأرض فأردت إشعالها في السماء، فكان عذره أقبح من ذنبه. ثم جاء من بعدهم شعراء تابعوا رسالة الإحياء، كعمر أبي ريشة والجواهري وغيرهم.

ونشأ بين المدرستين بمصر صراع بدأه العقاد بنقده شعر شوقي نقداً قاسياً لم يخل من جور، لكن مع ذلك استفاد شوقي من نقده، وفي المقابل شن الرافعي، من مدرسة المحافظين، حملة نقدية على العقاد، أفرد لها كتابه «على السفود»، وكان أقسى عليه منه على شوقي، وفي النهاية خرج هذا الصراع بإرث شعري وبلاغي ونقدي استفادت منه الأجيال وأثْرَتْ ملكاتها الذوقية والنقدية من بساتينه وينابيعه العذبة الثرة، إلى أن غلبت أساليب النقد الغربي على مناهج النقد العربي المعاصر، لكن مع ذلك بقي شعر شوقي وحافظ علامتين بارزتين لجمال الشعر العربي المعاصر المرتبط بأرومته، المتألق بجماله، ليجمع بين الأصالة والمعاصرة، فأعطى نتاجاً إبداعياً ما زالت تتذوقه الأجيال وتستلذه الأسماع وتستريح إلى حِكَمه النفوس، في جمال «نهج البردة» لشوقي، و«اللغة العربية تعاتب» لحافظ، وتتردد على الألسنة أبيات كقول شوقي:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت     فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقول حافظ:

الأم مدرسة، إذا أعددتها     أعددت شعباً طيب الأعراق

ونتاج هذه المرحلة يستحق الاهتمام، واستنباط جماليات شعره وتنبيه الشعراء إليه لتوظيف أساليبه في الشعر، وكذلك الاستفادة من النظرات النقدية، التي طرأت بعد صدمة الحداثة، فقست على الشعر من جهة، وأسهمت في تهذيبه وأثرت في أساليبه وموضوعاته من جهة أخرى، وعسى أن يتيسر للباحثين خوض هذا الغمار، والخروج بمنهج نقدي عربي ينبع من الأصالة ويواكب المعاصرة، فيعيد إلى الميدان ابن قتيبة وقدامة بن جعفر والجاحظ والقاضي الجرجاني بهيئة جديدة معاصرة تملك دقتهم وتواكب الذوق الجديد.



---

[١٠] حركة الشعر الحر في الأدب العربي الحديث، د. معراج أحمد معراج الندوي، مجلة اللغة، الكتاب الثاني، العدد الأول، أكتوبر، ٢٠١٥م.

[١١] المرايا المقعرة، عبد العزيز حمودة، ص٢٩.




مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية

https://journal.ziu-university.net

Issue: N25 ISSN: 2958-8537 العدد الخامس و العشرون 2م : ص.ص 435-458

Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

30/08/2024
المجلد الثاني

# الشعر المعاصر

# ثبات الجذور في مواجهة إعصار الحداثة

# Contemporary poetry

# The stability of the roots in facing of the hurricane of modernity

**مصطفى كمال الزايد**

Mustafa Kamal Alzaied

Alzayd7@gmail.com

رقم ORCID الخاص بكل باحث

https://orcid.org/0009-0009-7937-1683

إشراف الدكتورة:

**إيمان الطريفي حبيب**

رئيسة قسم اللغة العربية بكلية الدراسات العليا بجامعة الزيتونة

أستاذة الأدب بكلية التربية بجامعة البحر الأحمر

جامعة الزيتونة الدولية

Zaytoonah International University






**الملخص:**

ظهر مفهوم الحداثة في معطف أنيق مصطحبةً مخترعات تفيد الإنسان وتقلل من جهده وتضاعف إنتاجه، وتسعى إلى راحته ورفاهه، ورفع كهنتها شعارات براقة، هي الحريةُ والعدلُ والمساواةُ، ونشرُ العلم والحضارة والقضاءُ على التخلف. لكن هذا القناع البراق أخفى وراءه وجهاً قبيحاً غايته الهيمنة على الشعوب فكرياً، وتوجيهها بما تقتضي مصلحتهم هم، والسيطرة على الاقتصاد، واتخاذه – إلى جانب القوة العسكرية – سلاحاً ناعماً للضغط على الشعوب والحكومات لتسير في ركبهم تابعةً لا رأي لها ولا حق لها في اتخاذ قرار، في نوع من العبودية الحضارية المقننة، فكان لها تأثيرها في جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية، واتخذت الأدب وسيلة لزعزعة عقائد الشعوب وقيمها، وإفساد الأذواق، وهتك حواجز النظم الدينية والاجتماعية والأخلاقية، وإطلاق الشهوات وإحلالها مكان القيم السامية. فكان للأدب العربي المعاصر وجهان؛ الأول: أشرب في قلبه هذه الحداثة فجعل نفسه خادماً مخلصاً لها ولكهنتها، والثاني: مستشعر خطرها، فشذبها وأخذ طيبها ولفظ خبيثها. وسار التياران متوازيين نحو قرن من الزمان، الأول يعتمد على الإعلام الذي يديره كهنة الحداثة، وخيم بظلامه عقوداً أفسد أذواق الأجيال، والثاني يعتمد على قوة جذوره وتمكنه من لغته وأساليب فنه، لكنه مع ذلك أقصي وأغلقت في وجهه أبواب النشر، حتى إذا فتح الإعلام الجديد ذراعيه، من خلال مواقع الشابكة، ظهر بقوة مبشرة بصحوة أدبية، وبرز النتاج الذي عانى من القمع والإقصاء عقوداً، وخصوصاً في الشعر، في حين تقلصت الأشكال الشعرية الوافدة وانكمشت، لكن بقي تأثير الحداثة الأوربية في بعض المضامين تعدياً على الدين أو الأخلاق والقيم، إلا أن الأصوات باتت ترتفع بقوة في رفضها والدعوة إلى إعادة الأدب إلى التزام الثوابت والدوران في فلك المتغيرات بحرية.

**الكلمات المفتاحية:**

الحداثة، الأدب العربي المعاصر، التبعية والحرية، الثابت والمتغير، الجمال، جمال القبح، الصحوة الأدبية.

**Abstract:**

The concept of modernity appeared in an elegant coat of inventions that benefit humans, reduce their effort, multiply their production, and seek their comfort and well-being. Its priests raised bright slogans of freedom, justice, and equality, spreading science and civilization, and eliminating backwardness. But this bright mask hid behind it an ugly face whose goal was to dominate people's minds and direct them to what its interests required, to control the economy, and use it along with military force as a soft weapon to pressure

people and governments to follow in their footsteps and subservient to them without an opinion or a right to make decisions, in a kind of codified civilized slavery. It had its impact on aspects of political, social, and intellectual life, and literature was used as a means to shake peoples' beliefs and values, corrupt tastes, tear down the barriers of religious, social, and moral systems, and unleash desires and replace them with lofty values. Contemporary Arabic literature had two faces: A servant of this modernity and its priests, and the sensor of its danger that pruned it, took its good and threw its bad. The two currents proceeded in parallel for about a century. The first is relying on the media managed by the priests of modernity, and its darkness loomed for decades, corrupting the tastes of generations, while the other is relying on the strength of its own roots, its mastery of its language, and its artistic methods. So when the new media opened its arms through the Internet sites, it appeared strongly heralding a literary awakening, and the production that suffered from oppression and exclusion for decades emerged, especially in poetry. While the imported poetic forms shrank and contracted, the influence of European modernity remained in some contents as an encroachment on religion or morals and values, except that voices began to rise strongly in rejecting it and calling for literature to return to its commitment to constants and to revolve freely in the orbit of variables.

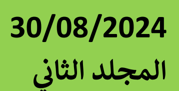
**Keywords:** Modernity, contemporary Arabic literature, dependency and freedom, the constant and the variable, beauty, the beauty of ugliness, literary awakening.

## 1. المقدمة

بسم الله رحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان ولم يتركه هملاً، فمنحه عقلاً يرشده إلى الهدى، وبصيرة تقيه الوقوع في الضلال، فقال سبحانه، في أسلوب إنكاري: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)،[1] وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه الطيبين، وبعد...

[1] سورة الحج: 46.


مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
ISSN: 2958-8537 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 435-458 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing
30/08/2024
المجلد الثاني


فإن التجدد والتطور من سنن الحياة، لا ينكرهما إلا جاهل، وفي هذا الإطار نناقش مفهوم «الحداثة» التي نشأت في أوربا نتيجة عوامل فكرية واقتصادية مهدت لها النقمة على الضغوط السياسية والدينية، إذ كانت السلطة الكهنوتية تتحكم بالسياسية وبالقائمين عليها، وقرار البابا يُعَدُّ قراراً إلهياً لا يمكن رده أو نقضه، والكاهن أو القسيس يستمد سلطة إلهية من البابا، فكانت الكنيسة مهيمنة على حياة المجتمع، تحدُّ حرية الأفراد اقتصادياً واجتماعياً، وتحاصره عقلياً وعلمياً، فبدأ الانهيار الإيماني في المجتمع الأوربي بعد فتح القسطنطينية، إذ رأى الأفراد أن الثالوث، الذي يؤمنون به، ويكفرُ به المسلمون، لم يمنع المدينة الحصينة من السقوط بأيدي المسلمين الذين هم – في اعتقادهم – لا يشملهم الخلاص في الآخرة، وتزامنت هذه الزعزعة مع بروز علماء وصلوا إلى حقائق كونية كفّرتهم بها الكنيسة وأحرقت بعضهم، ما جعل الأوربيين النصارى أرضاً خصبة لتنبت فيها البروتستانتية على يد مارتن لوثر، ثم اللبرالية، ثم الإلحاد، حتى كان شعار الثورة الفرنسية: «اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس». وبظهور المخترعات الحديثة وتطور الصناعة في أوربا سعت إلى التوسع باحتلال الشرق، لتجعل منه مصدراً للمواد الأولية لإنتاج مصانعها، وسوقاً لتصريف منتجاتها، فنشرت الحداثة في تلك البلاد بوصفها مفهوماً فضفاضاً شمل الدين، والاقتصاد، والسياسة، والفكر، والقيم، والأخلاق، والأعراف، والأدب الذي انقسم بين تابع أعمى «لو دخلوا جحر ضب لدخل وراءهم»([2])، وآخر واعٍ استطاع تجبير مفهوم الحداثة لما يحافظ على الثوابت، ويأخذ من الحداثة جانبها الإنساني المشرق الذي تنعكس في مراياه القيم الأصيلة، وهي الحق والخير والجمال، وهو مدار هذا البحث.

## 2. أهداف البحث:

أ. إيضاح مفهوم الحداثة لغةً واصطلاحاً.

ب. توضيح الجانبين المعرفيين؛ المادي والفكري.

ج. تبيين الثابت والمتغير.

د. إيضاح معنى الجمال، ومعنى جمال القبح.

---

[2] لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قَبْلَكُمْ شِبْرًا بشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بذِرَاعٍ، حتَّى لو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ، اليَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قالَ: فَمَنْ﴾؟! صحيح البخاري،
برقم 3456.

هـ. الكشف عن حقيقة الحداثة الأوربية.

و. بيان الأهداف السياسية للحداثة.

ز. دراسة تأثير الحداثة في الأدب العربي، وانقسامه في ظلها.

### 3. أهمية البحث:

بما أن الأدب رائد المجتمعات، فقد اجتذب كهنةُ الحداثة الغربية بعض الرخيصين بإغراءات مالية، أو جوائز أدبية، أو شهادات عالية، أو مناصب إعلامية، أو ألقاب أدبية، وسخرتهم لتقويض بنى مجتمعاتهم الدينية والأخلاقية والاجتماعية والأدبية، واحتكرت وسائل الإعلام لحمايتهم. لكن الأدباء الحقيقيين الواعين وقفوا في وجه هذا الإعصار الطارئ، واعتصموا بجذورهم من الانجراف به، وأخذوا من الحداثة طيبها وطعّموا بها أشجارهم لتعطي ثمراً كريم الأصل موافقاً للعصر. وبما أن التيار الأول كان يلقى المساندة والدعم فقد سيطر نتاجه على عقول عدد من الأجيال وأفسد أذواقهم، فراحوا يرددون مقولاتهم ويقتفون أثرهم في الكتابة معتقدين فيهم القدوة والنجومية، ويرون نتاجهم مثلاً أعلى في الفصاحة والبلاغة والجمال، فكان لا بد من ظهور شمس الحقيقة لتمحو ظلام الوهم وترفع الظلم عن الأدب العربي، وتعيد الأمور إلى نصابها في الشعر والنقد وعموم فروع الأدب، وقد ظهرت بوادرها في عصرنا بقوة، من خلال قنوات التواصل الاجتماعي، ويسعى هذا البحث إلى وضع هذين الجانبين في دائرة الضوء ليتبين التبر من التراب والعود من الحطب.

### 4. منهجية البحث:

المنهج الوصفي: من خلال استعراض بذور الحداثة وتطور مفهومها والعلاقة بين مظهرها وجوهرها وغايتها وآثارها في الفرد والمجتمع.

المنهج الاستنباطي: في بيان الثابت والمتغير، واتجاهي الحداثة؛ الشيطاني والإنساني.

**5. إشكالية البحث:** مناقشة مقولة: «الحداثة مفهوم حضاري يعني أمرين اثنين: أن هذا الشعر هو الصياغة الجمالية للإنسان العربي، لا في همومه العاطفية أو احتياجاته الاجتماعية، وإنما في ثورته الحضارية المعاصرة. وأن هذا الشعر (العربي المعاصر) أحد مقومات الحضارة العربية الحديثة، وليس وجهاً سياسياً».

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
Issue: N25 ISSN: 2958-8537 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 435-458
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing



**الدراسة:**

«شهدت صدمة الحداثة تفاصيل ويوميات مهولة في العالم العربي والإسلامي، الذي بدأ يتساقط تباعاً في قبضة الاستعمار، ما جعل كل قطر يعيش تجربة خاصة معها، وأدى إلى بروز إشكالية العلاقة بين الموروث الثقافي والحداثة، فتلك الحقبة خلفت لنا ما يؤكد أنها إرهاص تاريخي لما هو عليه التداول المعاصر للإشكالية، ففي مصر والشام أدى واقع هذه الصدمة إلى انقسام كبير في صفوف النخب العلمية والفكرية إلى جبهتين: جبهة التيار الإصلاحي، الذي مثله كل من رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي، الذي لم يرفض الحداثة أو المعاصرة، بل تبنى سؤالها وناضل من أجل التحديث، لكنه رفض أن يكون شرطَ المعاصرة تقويضُ التراث، فحاول أصحابه نسج علاقة مصالحة بين الموروث الثقافي المحلي والحداثة، على أساس ما يمكننا نعته بالإرهاصات الأولى للنقد المزدوج. والجبهة الأخرى: التيار التغريبي والليبرالي، تمثله شرذمة من السلاك على درب القطيعة التامة مع الماضي، وهو موقف موسوم بالحالة العدمية والإنكارية الشديدة لكل مظاهر الثقافة العربية والإسلامية، وقد مثل هذا التيار أشخاص من مصر والشام، أمثال فرح أنطون، ولطفي السيد، وسلامة موسى الذي دعا، هو ومن تأثر به، إلى فصل مصر عن المجال العربي والإسلامي، وغيرهم».[3]

هذا التيار الليبرالي التقليدي الذي وقع في العدمية، قال عنه الكواكبي: «وأما الناشئة المتفرنجة، فلا خير فيهم لأنفسهم فضلاً عن أن ينفعوا أقوامهم وأوطانهم شيئاً، وذلك لأنهم لا خلاق لهم، تتجاذبهم الأهواء كيف شاءت، لا يتبعون مسلكاً ولا يسيرون على ناموس مطرد».[4]

وقد كان «الربط بين الحداثة والتحديث، هو الخديعة الكبرى التي قام بها الحداثيون العرب، عندما وجهوا الرغبة الشعبية الشاملة في التحديث، بعد الهزيمة العسكرية، في اتجاه تبنّي الحداثة دون أن يدركوا – إذا افترضنا حسن النية – أو في تجاهل متعمد – إذا افترضنا سوء النية – أن التحديث لا يعني الحداثة بالضرورة».[5]

---

[3] صدمة الحداثة، أو ميلاد إشكالية الحداثة في الخطاب العربي والإسلامي، إدريس هاني، مجلة الكلمة، ص4.

[4] أم القرى، عبد الرحمن الكواكبي، ص134.

[5] المرايا المقعرة، عبد العزيز حمودة، ص29.


مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية

https://journal.ziu-university.net

Issue: N25 العدد الخامس و العشرون ISSN: 2958-8537 م.2 : ص.ص 435-458

Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

30/08/2024

المجلد الثاني





**الحداثة:** بمعناها اللغوي هي الجدة، واصطلاحاً: «تجديد ما هو قديم. وهو مصطلح برز في المجال الثقافي والفكري والفني ليدل على مرحلة التطور التي طبعت أوروبا خاصة، في مرحلة العصور الحديثة».[6]

والتجديد ليس أمراً غريباً في البُنى أو العلاقات أو الفنون الإنسانية، ويمكن تقسيمها إلى جانبين معرفيين، جانب معرفي مادي وآخر معرفي فكري.

**الجانب المعرفي المادي:**

في رحلة الإنسان الطويلة على الأرض تطورت مدركاته، وتوالى فهمه للقوانين التي أمضاها الله في الطبيعة لخدمته، والمواد التي خلقها فيها لسد حاجاته، ومنّ عليه بالعقل ليسخر تلك القوانين ويستغل هذه المواد في تطوير أدواته وتحسين نمط حياته، فثمة أشياء اكتشفها بالصدفة تقديراً من الله لإرشاده، وأشياء أدركها بالتجربة، وأشياء اهتدى إليها بإعمال فكره، نتجت منها سلسلة من الاختراع والابتكار لم تتوقف، فوصل إلى ما وصل إليه في عصرنا من صناعة وتقنية لم تأت فجأة، وإنما كانت تطويراً لنتاج حضارات متوالية سادت ثم بادت، وانتقل إرثها العلمي والمعرفي إلى بناة جدد أحسنوا تطويره، ثم انتقل إرث هؤلاء إلى جيل أو أبناء حضارة أخرى أخذوا دورهم في تطويره، وهكذا استمر في سلسلة تتصل حلقاتها من يوم نزول أبينا آدم إلى الأرض إلى يومنا هذا.

**الجانب المعرفي الفكري:**

خلق الله الإنسان لخلافته في الأرض، لذلك لم يتركه هملاً، وإنما علمه لغة يحسن التواصل بها مع الآخرين (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)[7] وأفهمه الغاية التي خلقه من أجلها (وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُوْنِ)[8]، وأوجب عليه العمل لهذه الغاية من خلال ثوابت عملية وأخلاقية حددها له، وأفسح له المجال في طريقة الحياة والتصرف والخصوصية بما لا يخرق هذه الثوابت أو يخالفها، وعلى رأسها ربوبية الله وألوهيته وتفرده بهما، وعبودية الإنسان له، وأخذ عليه عهداً بذلك (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ

---

[6] ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

[7] سورة البقرة: 31.

[8] سورة الذاريات: 56.



الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ)[9] وأراه عدوه وأسمعه قوله: (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا)[10]، وأسمعه أخذه العهد على نفسه في معاداة الإنسان ودفعه إلى الشرور ومخالفة الفطرة وأوامر الله، بقوله (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)[11] وقَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ~ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)[12] وأسمعه خطته وأساليبه في الإغواء والاستزلال، في قوله: (وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ)[13] وحذره منه فقال: (إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ)[14] وبعد أن بين له كل ذلك ترك له حرية الاختيار المطلقة (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيْلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوْراً)[15].

ولازمت الخطيئة الإنسان بوسوسة الشيطان منذ البداية، فأكل من الشجرة المحرمة، فلما نزل إلى الأرض قتل النفس، وظلم، واستحل المحرمات، فأرسل الله الأنبياء والرسل لتذكيره بالعهد، وتنبيهه من غفلته، وإرشاده إلى الطريق السوي، ولكن ما يكاد عصر النبي يمضي حتى يحرف شريعته أصحاب الأهواء والمصالح الفردية على حساب المصلحة الجماعية، والمستفيدون من الضلال وانحراف الناس، وخصوصاً في ستة أمور: تجارة الخمر، والربا، والقمار، والإتجار بالزنا، والشرك وعبادة الأوثان ونيابة الكهنوت عن الآلهة، فختم الله رسالاته إلى الإنسان بشريعة خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ، وتعهد بحفظها من التزوير والزيادة والنقص (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ).[16]

**الثابت والمتغير:**

**الثابت:** هو المقدس، الذي لا تجوز فيه الزيادة أو النقصان أو التحريف أو التبديل أو العبث، وهو ما شرع الله وما أمر به وما نهى عنه. فالله، حين خلق الإنسان ومكّنه بالعقل وتسخير موارد الطبيعة وقوانينها له، جعل له ضوابط تحد من

---

[9] سورة الأعراف: 172.
[10] سورة الاسراء: 62.
[11] سورة ص: 82.
[12] سورة الأعراف: 16 – 17.
[13] سورة النساء: 119.
[14] سورة طه: 117.
[15] سورة الإنسان: 3.
[16] سورة الحجر: 9.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية

https://journal.ziu-university.net

Issue: N25 ISSN: 2958-8537 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 435-458

Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

30/08/2024

المجلد الثاني




طغيانه وتجبره وتسلطه على أبناء جنسه، وتحول دون إفساده في الأرض، وتضمن للمجتمع الإنساني أمنه وسلامه وحقوق أفراده وكرامتهم، فحرية كل فرد تنتهي عند حدود حقوق الآخرين، هذه الضوابط هي الشرائع، وهي الثوابت التي لا يجوز للإنسان المساس بها، وأضاف إليها مندوبات هي مكارم الأخلاق، التي تزيد في سعادة المجتمع الإنساني ونشر المودة والوئام بين أفراده.

**المتغير:** هو كل ما أذن الشارع سبحانه للإنسان بالتصرف فيه وتطويره وتجديده وتسخيره لتحقيق مصلحة أو فائدة ضمن الضوابط التي شرعها. والمتغيرات في حياة الإنسان نوعان:

**1- متغيرات مادية:** وتقوم على العلوم التطبيقية، في اســـتكشـــاف العالم وما فيه من نبات وحيوان وجماد، وفوائدها وخطرها، والاستفادة منها في تطوير سبل العيش وإمكاناته، واستغلال موارد الطبيعة وتجيير قوانينها لخدمة المجتمع الإنساني، وتطوير سبل حياته، وتحقيق أمنه على كل المستويات، وراحته وسعادته.

**2- متغيرات فكرية:** وتشـــمل اســـتنباط الحكمة، وفهم قوانين الطبيعة، ومعرفة طبيعة النفس البشـــرية، لزيادة الوعي الإنســاني بها وتسـخير معارفه لتخدم المتغيرات المادية وتسـهم في تطويرها، وترقية ذوقه لاسـتكشـاف الجمال وتذوقه واستلهامه في الإبداع.

**الجمال:**

هو سمة تستريح إليها النفوس وتهفو إليها القلوب وتُخلب بها الألباب، وينجذب إليها الإنسان فطرياً، ومنه ما هو حسـي ومنه ما هو معنوي، فالحسـي منتشـر في الطبيعة في صـور تدرك بالحواس، فهناك جمال يدرك بالبصر، ومظاهره في الإنسان والحيوان والنبات، وفي مظاهر الطبيعة من جبال وأودية وأنهار، وجمال كوني في الشـمس والقمر والنجوم والسـحب، وجمال يدرك بالسـمع كتغريد الطيور والأصـوات الجميلة والموسـيقا، وجمال يدرك بالشـــم في الروائح، وجمال يدرك بالتذوق في الطعوم، وجمال يدرك باللمس كالأشـــياء الناعمة واللينة. وجمال المعاني يرتبط بالخير والفن والأدب والأخلاق والقيم الســامية. والجمال قيمة عامة يتفق عليها جميع البشر، لأنها حقيقة ماثلة في الجميل، فهو من الثوابت التي لا ينكرها إلا مريض:

ومن يك ذا فم مُرٍّ مريض    يجد مُرّاً به الماء الزلالا[17]

وقد يتغير مفهوم الجمال لأسباب فردية تنبع من نفس الإنسان تجاه ما يراه هو جميلاً، لأسباب عاطفية أو نفسية؛ «حبك الشيء يعمي ويصم».[18]، أو لأسباب اجتماعية، فأهل البادية يرون في الخيل والإبل جمالاً لا يراه أهل الحاضرة الذين يرون الجمال في السيارات، ويجري ذلك على المعاني، وقد أشار إليه النبي ﷺ في قوله ﴿ ليسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشَّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ﴾[19] فنظرة المجتمع إلى البطولة، وهي معنى جمالي، حصرتها في القوة وصرع الخصوم، لكن النبي ﷺ حول نظرة المجتمع إلى معنى جمالي أفضل، وهو الحلم.

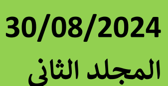
**جمال القبح:**

ليس في القبح جمال، وإنما يكون استشعار الجمال فيه نابعاً من نفس الإنسان تجاه الأمر القبيح، كمن ظُلِم، فيرى منظر ظالمه في العقوبة جميلاً، مع أن العقاب قبيح، فهو نوع من التشفي وإطفاء غل القلب، ومن ذلك قول أبي تمام في عمورية:

ما رَبْعُ ميَّةَ معموراً يطيفُ بهِ    غَيْلاَنُ أَبْهَى رُبىً مِنْ رَبْعِهَا الخَرِبِ
ولا الْخُدُودُ وقدْ أُدْمينَ مِنْ خجَلٍ    أَشهى إلى ناظِري مِنْ خَدها التَّرِبِ[20]

وكذلك يكون هذا الجمال في جمال الطرح الذي يعالج قضية قبيحة، ككتاب البخلاء للجاحظ، الذي أبرز قبح البخل، ومسرحية تاجر البندقية لشكسبير، التي تناولت قبح الجشع، فكلاهما عمل أدبي جميل يبرز قبح أمر ما، وهذا الأمر ليس فيه جمال، وإنما الجمال في أسلوب طرحه وتنفير الناس منه، ويأتي ذلك أيضاً في الرسوم الكاريكاتيرية، وبعض الأعمال السينمائية، فالجمال لا يكون في القبح ذاته، وإنما في طريقة عرض صورته القبيحة للتنفير منه، ودفع المتلقي إلى ضده.

17 ديوان المتنبي، ص141.
18 مجمع الأمثال، الميداني، ج، ص196.
19 صحيح البخاري، برقم 6114.
20 ديوان أبي تمام، حبيب بن أوس الطائي، ج1، ص56-57.


30/08/2024
المجلد الثاني

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
Issue: N25 ISSN: 2958-8537 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 435-458
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing



**الحداثة الأوربية:**

هي الاصـــطلاح الذي أرادت أوربا عولمته لمفهوم الحداثة، وتعني: تحديث وتجديد ما هو قديم في كل المجالات: الديني والثقافي والفكري والتاريخي، ليدل على مرحلة التطور في مرحلة العصـــور الحديثة.[21] فالحداثة في الاصـــطلاح الغربي هي الخروج من منظومة فكرية إلى منظومة جديدة مختلفة «والحداثة كونياً هي ظهور المجتمع البورجوازي الغربي الحديث في إطار ما يســـمى بالنهضـــة الغربية أو الأوروبية، هذه النهضـــة التي جعلت المجتمعات المتطورة صـــناعياً تحقق مســـتوىً عالياً من التطور مكنها ودفعها إلى غزو وترويض المجتمعات الأخرى»،[22] وكلمتا «غزو وترويض» تغنيان عن كثير من الشـــرح، «فالحداثة تخرج هذه المجتمعات من دائرة التكرار والاجترار والمراوحة، وتفجر دينامية التحول بما يســـتتبع ذلك من اهتزاز في القيم والعادات والهويات»[23]، والكلمات الخمس الأخيرة تشف عن حجم هذا الغزو ومدار هذا الترويض. ففي الحداثة نصب الإنسان مكان الله، فهو معيار الصواب والخطأ، ومنتجه التنظيمي هو الحاكم بدلاً من السلطة الإلهية المتمثلة بالشـريعة، التي لم يكن فيها مصـطلح «إنسـانية» أو خلق إنسـاني، وإنما هناك بر وتقوى وإحســـان، مرتبطة بمصـــدر التشـــريع وهو الله عز وجل، إلا أن كل القيم تحولت ليكون محور العالم هو الإنســان: احترام الإنســان، حقوق الإنســان، إرضــاء الإنســان، حتى القيم تحولت إلى إنســانية محضــة، فهذ تصرف إنساني أو غير إنساني، وهذه قيمة إنسانية أو غير إنسانية، «صحيح أننا كنا نظن أننا محور الكون والفلك يدور حولنا، حتى اكتشـف كوبر نيكوس أن الأرض تدور حول الشـمس، لكننا في عصـور الإيمان كنا ندور حول فلك الله سبحانه، أما اليوم فقد أصبح الإنسان هو المركز الذي يجب أن يدور حوله الكون، وحتى الله؛ فلا ترى الحداثةُ ســـلطةَ لله على الإنســـان، حتى أصـــبحت هذه الرؤية مســـلمات»![24] وبالقياس إلى الاستبداد العربي والتسلط السياسي، لا الديني، وغياب العدالة وانتهاك الحقوق، فقد حققت الحداثة في أوربا ما

[21] ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.
[22] مدارات الحداثة، محمد سبيلا، ص123.
[23] المصدر السابق، ص124.
[24] الحراك النسوي في العمل الإسلامي والتحديات المعاصرة، حيدر حب الله، محاضرة: https://www.youtube.com/watch?v=ciqvV-aV-bw&t=333s

حققه الإسلام في عصر الخلفاء الراشدين وعصر عمر بن عبد العزيز، فللإنسان حقوقه المشروعة التي لا ينازع فيها، وله كرامته التي لا يحق لأحد المساس بها، واحترامه الذي يعاقب منتهكه، وله حريته في حدود حريات الآخرين، وله أمنه المعاشي، والتعليمي، والوظيفي، والصحي، لذلك لا نجد اليوم أحداً ممن ذهب إلى هناك عاد إلى وطنه، إلا في حالات فردية.

**الحداثة والسياسة:**

لا يختلف اثنان في أن الحداثة، بالمفهوم الاصطلاحي المعاصر، ترتبط في أحد جوانبها بالسياسة، سواء التوسعية أم الاقتصادية التي تسعى إلى السيطرة على موارد العالم وإدارتها، أم القمعية التي لا تسمح لغيرها أن يمتلك قوة مكافئة لقوتها، أم الفكرية والثقافية التي يستهدف الغرب من خلالها الهيمنة على العقول فـ«ينصب عقولاً لا تدرك إلا ما يريد لها هو أن تدرك، ولا تبصر إلا ما يريد لها هو أن تبصر، ولا تعرف إلا ما يريد لها هو أن تعرف»،[25] وهو الجانب المتعلق بنقض القيم والجرأة على خرق النظم الاجتماعية المتحفظة، ومخالفة الفطرة، وانتهاك الحرمات، ونقض الأديان، لعلم السياسيين بأثر الفساد في تفكيك المجتمعات وتثبيط الهمم وثني العزائم، وهي سياسة قديمة، ضرب الله مثلها في القرآن الكريم بقصة بلعام، الذي كان عابداً موحداً آتاه الله آيات معجزات في القوم الجبارين في فلسطين، فلما جاء موسى وقومه إليها ومنعوهم دخولها تقاتلوا، واستمرت المعارك بين الفريقين ولم ينهزم موسى وقومه، فلجأ قوم بلعام إلى بلعام، فقال لهم إنكم لن تهزموا هؤلاء إلا إذا انتشرت فيهم الفاحشة، فأرسلوا إليهم بناتكم متزينات إلى معسكر قوم موسى، «ولا تمنع إحداهن رجلاً أرادها على نفسها، فيرتكبن معهم الفاحشة»،[26] ففعلوا، فتأخر النصر على قوم موسى حتى نهض صالحوهم وأوقفوا هذه المفاسد بالقوة. قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ~ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ

---

[25] أبو فهر محمود محمد شاكر، مداخل إعجاز القرآن، ص147 – 148.
[26] تفسير البغوي، سورة الأعراف، الآيات: 175 – 176.

لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ).[27] وهذا النوع من الحروب شنه الغرب في عصرنا على الشرق المسلم، ليتمكن من السيطرة عليه، بعد فشل الحملات العسكرية وتحرر الشعوب، ثم تحول الهدف إلى السيطرة على العالم بأكمله وليس الشرق وحده، فنشروا الاختلاط والعري والإباحية والربا والخمر ونوادي القمار والأفلام القذرة، والفاحشة التي يسمونها «مثلية»، وعبادة الشيطان، وغيرها من المفاسد، وسنوا قوانين تحميها، فركنت الشعوب إلى ملذاتها وقطعت حبلها مع الله عز وجل، إلا من رحم ربي.

وفي الجانب الفكري نشروا مبدأ الشك الذي أثمر الإلحاد، ونبذ القيم الدينية والأخلاقية تحت مظلة حرية الإنسان الشخصية، وضيقوا الخناق على الأمم التي تحتكم إلى الشريعة، وضغطوا عليها سياسياً واقتصادياً لسن قوانين تحمي الرذيلة والفساد بمسمى الحريات، وهاجموا الفضيلة ووسموها بالتخلف، وشوهوا صورة حُماتها، وفرضوا على الجامعات والمدارس تدريس فرضية داروين في النشوء والارتقاء، ونظرية ماركس في الإلحاد، ووضعوا مناهج في الفلسفة الإلحادية، وقدموا من تلاميذهم ومأجوريهم قدوات تغلغل الانحراف في المجتمع باسم التقدم والتحضر. فالحداثة «ظهور ملامح المجتمع الحديث المتميز بدرجة معينة من التقنية والعقلانية والتعدد والتفتح. أما الحداثة – كونياً – «فهي خلخلة تتفاوت قوة وعنفاً في جميع مستويات الحياة في المجتمعات التي عانت الحداثة، إما داخلياً أو نتيجة صدمة خارجية».[28] وهذه الخلخلة التي شملت جميع مستويات الحياة أحدثت صدمة حقيقية تلاها اهتزاز في القيم والعادات والهويات، بل والدين والأخلاق والفكر، وقطّعت المجتمع العربي والإسلامي قطعاً متخالفة متنابذة تجلت في الأدب وما زالت أصداؤها تدوي إلى يومنا هذا.

**الحداثة والأدب:**

لمفهوم الحداثة في الأدب وجهان:

**الأول: الحداثة الشيطانية:** وهي مرتبطة بسياسة الإفساد، إذ أخرج المستشرقون وأساتيذ السوربون وغيرها من مدارس أوربا، من سراويلاتهم الأنيقة كتّاباً وشعراء يحملون لواء «التنوير» ويستهدفون الموروث الأدبي

---

[27] سورة الأعراف: 175 – 176.

[28] مدارات الحداثة، محمد سبيلا، ص123.

والفكري، وكلاهما مرتبط عند العرب بالإسلام، بما فيه الشعر الجاهلي الذي أصبح مادة لتفسير النصوص الدينية، وطبّلوا لهؤلاء وسخّروا لهم الصحافة الممولة منهم، وخلعوا عليهم الألقاب الرنانة، وحاربوا من يقف في وجه مشروعهم من الأدباء والنقاد، فلم يجد نتاج المعارضين جهة تنشره، وشجعوا القصص التي تزور التاريخ فتربط تاريخ القدوات بقضايا جنسية، وترجموها إلى لغات أخرى (قصص جرجي زيدان مثلاً)، وكذلك الروايات التي تروج للفساد وتنشر الرذيلة، فلم يكتفوا بنشرها وإنما أنتجوها في أفلام سينمائية (روايات إحسان عبد القدوس بن روز اليوسف) مثلاً. ثم جاء عصر الجوائز الأدبية، فحصروها في الكتابات التي تنشر الفساد، أو تحارب الإسلام، أو تغمز من قناته، أو تتضمن مقاطع إفسادية باسم التحرر والتقدم. فخرج عندنا شعراء يرفعون راية الإلحاد والشيوعية بجانبيها الإثني والإباحي لا الاقتصادي، من أمثال السياب، الذي تراجع في ما بعد، وقال: «نشط حزبنا الشيوعي بعد أن أطلقت الحريات، فكانت مظاهراتنا تملأ الشوارع حتى ينقطع السير والمرور فيها... كنا نجتذب الكناسين والحمالين والمجرمين من نشالين وسواهم إلى صفوفنا بوعود معسولة نبذلها لهم؛ كنا نمنيهم بالقصور والآنسات الحور، ونجحنا في ذلك أيما نجاح. وأقام جماعة من أهالي الكرادة حفلة تأبينية لشهداء الوثبة، وقد دعيتُ للمساهمة في تلك الحفلة. لم يكونوا ليعرفوا أنني شيوعي، وكذلك شأن محمد شرارة الذي دعي إليها دون أن يعلم الداعون أنه شيوعي. إن من يقرأ قصيدتي في تلك الحفلة، وخطاب محمد شرارة فيها، يلحظ الخط «الشعوبي» الشيوعي واضحاً فيهما، فقد جاء في قصيدتي:

ما زال يملأ مسمع الأحقاب    ذاك الهدير من الدم المنساب

يعلو فيرتجف الطغاة وتمَّحي    أسطورة الاحساب والأنساب

ما علاقة الأحساب والأنساب بوثبة الشعب على ظالميه؟ إنها الشعوبية التي يغيظها ويمزق أعصابها أن يقول العربي إنه عربي!»[29] وتجاوزوا في شعرهم الهوية والأخلاق إلى الدين وتكذيب الله عز وجل في صفته نفسه (لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ)، قال محمود درويش:

نامي فعين الله نائمة    عنا وأسراب الشحارير [30]

---

29 بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره، إحسان عباس، ص102.

30 أوراق الزيتون، محمود درويش، ص32.

بل تجاوز إلى التعدي على صـــفات الله التي لا تنبغي لغيره، وإضـــفائها على غيره في تعدٍّ صـــريح على مضمون آية قرآنية، قال محمود درويش:

فسبحان التي أسرت بأوردتي إلى يدها[31]

ويتفاقم التعدي على ذات الله ليقول عبد الوهاب البياتي:

«الله في مدينتي يبيعه اليهود
الله في مدينتي مشرد طريد
أراده الغزاة أن يكون
لهم أجيراً شاعراً قواد
يخدع في قيثاره المذهب العباد
لكنه أصيب بالجنون»

حتى بلغ بهم الأمر جاوز والتعدي في كفرهم الصريح أن يقول نزار قباني:

«من بعد موت الله مشنوقاً على باب المدينة
لم تبق للصلوات قيمة
لم يبق للإيمان أو للكفر قيمة»

وقبله قال السياب:

«فنحن جميعنا أموات
أنا ومحمد والله
هذا قبرنا أنقاض مئذنة معفرة
عليها يكتب اسم محمد والله
على كسر مبعثرة من الآجر والفخار

[31] الخروج من ساحل المتوسط، ديوان محمود درويش، ص475.

فيا قبر الإله على النهار

ظل لألف حربة وفيل[32]

وكثير من هذا التجديف والهرطقات تنتشر في كتابات كثير منهم، شعراً ونثراً، وتحت شعارات: «حداثة الأدب العربي» و«الثقافة الإنسانية» و«الأدب الحديث» و«الإبداع الفني» و«حرية الفكر» وغيرها من المصطلحات، حاولت جماعات الاستشراق والحداثة والتنوير تغيير اعتقاد وفكر الأمة الإسلامية وبث السموم الفكرية والسلوكية في المجتمع المسلم؛ بالتطاول على أهل الإسلام ورموزه، ونشر الترهات والسفاهات الفلسفية في أطر علمية مخادعة؛ لينبهر بها الشباب المسلم، فيبذروا فيهم بذور الشك والغفلة والانحراف الفكري. فالناظر في كتب الأدب المعاصر يلاحظ أن الثقافات الغربية أودت بثمارها في أفكار وعناوين الأدب العربي[33]، و«كل حركات التجديد، التي نشأت في الأدب العربي المعاصر، إنما تستمد في الغالب وحيها من الآداب الأجنبية»[34]، ما جعلها تتجنى في كتاباتها على مفاهيم ومعتقدات تخالف الإطار الإسلامي المعروف، كما أنها تنم عن معتقد كاتبها الذي يحاول إيصال فكره المستنير – كما يدعي – ليحرر المفهوم العربي، كما حرر الغرب عقله وكتاباته، ناسياً كل الثوابت والمحكمات في المجتمع الذي يحيا فيه. يقول اللبناني الماركسي حسن مروة: «لقد كنا في لبنان مصابين بانتشار ألوان من الأدب والفن الانحلاليين، وكان معظم أدبائنا وفنانينا متأثرين بالمؤسسات الأجنبية والمدارس الفرنسية في الأدب والفن والفلسفة، من رومنطيقية وسوريالية وانطباعية ووجودية، يقلدونها جميعاً، ويتعصبون لها، ويقفون بوجه الحركة الواقعية في الأدب والفن».[35]

ويقول منير العكش: «كان أدباء هذه الحركة ونقادها يرسخون حركة التوصيل الإنجيلية على أربع مراحل: أولاً: باستعارة الألفاظ الإنجيلية. ثانياً: باستعارة أسلوب الترجمة الإنجيلية. ثالثاً: بإفراغ اللغة من مدلولاتها

---

32 ديوان السياب: ص395 - 400.

33 الحداثة والتغريب للأدب العربي (المضامين – والوسائل)، عمرو سامي، شبكة الألوكة: https://majles.alukah.net/showthread.php?t=133364

34 الأدب ومذاهبه، محمد مندور ص3، منتدى سور الأزبكية، نهضة مصر للطباعة والتوزيع.

35 مجلة الثقافة الوطنية العدد 62 ص4.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
Issue: N25 ISSN: 2958-8537 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 435-458
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing


القديمة وشـــحنها بمدلولات إنجيلية. رابعاً: باتهام كل ما يخالف هذه الحركة بالتقعر والحذلقة».[36] «وهكذا حاولوا محو هوية هذه الأمة، بل إن يوسف الخال قد صرح بمكنون السر وراء إنشائه «مجلة شعر» حين قال: «إن عملية مجلة شعر كانت عملية تبشيرية رسولية أكثر من أي شيء آخر».[37]

**الثاني: الحداثة الإنسانية:**

وهي التي توافق الفطرة، وتحمل إرثاً دينياً، أو أخلاقياً، أو فكراً واعياً، أو ذوقاً سليماً، أو معنىً إنسانياً، وتأتي بشكل طبيعي، وتتقدم بطريقة اعتيادية في سيرورة التطور الإنساني، متوازنة هادفة تحمل رسالة إنسانية غايتها بناء الإنســان، ومحاكاة النموذج المثالي ليحاكي، كما يرى أفلاطون، لكن بأســلوب معاصــر ولغة قريبة من المجتمع، وهو تطور طبيعي مر به الأدب العربي وغيره من الآداب من خلال سنّة الحياة، وقد سبق إلى ذلك سقراط، ونُسب مثلُه إلى علي بن أبي طالب، رضــي الله عنه، بالقول: «لا تُكرِهوا أولادكم على آثاركم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم»،[38] إذ لكل زمان رجاله، ولو بقي العرب بعد الإســلام على فظاظتهم ونعراتهم وكبرهم قبل الإسلام لما بلغوا ذلك التحضر في العلم والفكر والأدب والأذواق والمعاملات، الذي بلغ ذروته في العصــر العباســي، ولو بقي النصــارى على حالهم أيام الحروب الصــليبية ومحاكم التفتيش لما بلغوا ما بلغوا اليوم، فالتطور ســنة الحياة. والمعروف أن الشــعر في العصــر الإســلامي قد لان، واختلفت لغته عن لغة العصــر الجاهلي، سواء في الأساليب أم الألفاظ أم المعاني، ومن يقارن بين شعر المخضرمين في الجاهلية وشــعرهم في الإســلام يستشــعر ذلك الفرق. ثم جاء في العصــر الأموي شــعراء كقيس وجميل وكثير وجرير والفرزدق والأخطل والكميت ودعبل وغيرهم فطوعوا هذه الليونة ليبدعوا بها كإبداع الجاهليين، ثم جاء في العصـــر العباســـي أبو تمام والعباس بن الأحنف وذي الرمة ثم البحتري ثم المتنبي وغيرهم، فجددوا في المضــامين واللغة والأسلوب، ولم يخرج شــعرهم عن مِكنته وقوة تعابيره وترابط ألفاظه، وقد احتج الزمخشــري بشعر أبي تمام مع أنه جاء بعد عصور الاحتجاج، حتى إذا وصلنا إلى عصر الدول المتتابعة هبط المستوى

---

36 الحداثة والتغريب للأدب العربي (المضامين – والوسائل)، عمرو سامي، شبكة الألوكة:
https://majles.alukah.net/showthread.php?t=133364

37 قضايا الشعر الحديث، جهاد فاضل ص295.

38 إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، ج2، ص262.

التعبيري، وغلبت على الشعر الصناعة، وعُني الشعراء بالزخرفة اللفظية من تزاحم صور، ومحسنات لفظية من جناس وطباق ومقابلة، فإذا خلت القصيدة من هذه الأشياء لم تلق رضا شاعر ولا أديب ولا عامي، وأصبحت أغراض الشعر تدور في الشكوى ومدح السلاطين والقادة والأثرياء لنيل عطاياهم.

ومن الطبيعي أن يأتي جيل يمل هذا النمط الشكلي وينصرف إلى المضامين، فلما استيقظ الشرق الإسلامي على الآلة العسكرية للحداثة وأدواتها المتطورة في العلوم والمخترعات طرأت عنده متغيرات كثيرة، في السياسة، والفكر، والأدب، وزاد اندفاع هذا التغير قوة حين اطلع الأدباء على نتاج الغرب الأدبي، كمسرحيات شكسبير، ورواية البؤساء لفكتور هيجو، وروايات ديستوفسكي، ولا ريب أن قراءة أي تجربة أدبية تترك أثراً في القارئ، لكن أثرها في الأديب أكبر، لأنه ينظر في الأسلوب، أما القارئ فتكفيه الفكرة، وهكذا حصل تلاقح ثقافات كان له نتاج أدبي جديد، فعرف العرب فن القصة، والرواية، والمقالة، وتطور النقد فسل سياطه على الشعر، فانتبه الشعراء إلى أهمية التعبير، وأنها مُقَدَّمة على الديباجة أو عمود الشعر، أو الزينة اللفظية، فنشأت مدرسة الديوان، التي انتقض أصحابها على النموذج التقليدي، ونأوا عنه في نظمهم وحاربوه في نقدهم، فكانت مدرسة الإحياء وسطاً، إذ أخذوا من الحداثة وجهها المشرق، فأعادو النظر في الشعر العربي الأصيل، واستشعروا جمالياته، واطلعوا على أساليب النقد القديم، واستفادوا من نظراته، وعارضوا القصائد القديمة بقصائد على الوزن نفسه والروي عينه، لكن بالأسلوب المعاصر، كما فعل رائد هذه المدرسة محمود سامي البارودي، الذي سبق إلى استلهام شعر السابقين، فإذا قرأنا قصيدته التي مطلعها:

قَلَّدْتُ جِيدَ الْمَعَالِي حِلْيَةَ الْغَزَلِ     وَقُلْتُ فِي الْجِدِّ مَا أَغْنَى عَنِ الْهَزَلِ

عرفنا أنه يعارض لامية العجم للطغرائي، ومطلعها:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل     وحلية الفضل زانتني لدى العطل

وقصيدته التي مطلعها:

تَرَحَّلَ مِنْ وَادِي الأَرَاكَةِ بِالْوَجْدِ     فَبَاتَ سَقِيماً لا يُعِيدُ وَلا يُبْدِي

وجدناه يعارض بها بقصيدة الصمة القشيري:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد     لقد زادني مسراك وجداً على وجد



ثم تبعه في منهجه أحمد شـوقي، الذي عارض قصــائد لكل من أبي تمام وابن زيدون والبحتري والحصـــري القيرواني والبوصــيري. ولم ينحصــر أتباع هذه المدرسـة في المســلمين، فكان منهم خليل مطران وســليمان البســتاني، كما أن منهم أحمد شــوقي وحافظ إبراهيم ومصـــطفى صــادق الرافعي وأحمد محرم ومحمد عبد المطلب، وتبع هذه المدرســة كثير من الشــعراء مثل الزهاوي ومحمد عبد الله عثيمين ومعروف الرصـــافي، «بعودتهم إلى مناهل الشعر العربي الأصيل والبعد عن تقليد الشعر العابث، فعادوا إلى اللغة العربية الصافية، والتعبير المشـرق بأسـلوب فصـيح عما في عصـرهم بلغته، فجاء شـعرهم معبراً عن العصـر الجديد، نابعاً من أحاسيسهم، واستلهموا فكر الأمة وصراعها الفكري والحربي، وظهرت عندهم التجارب الشعرية الذاتية المتلبسة بالمشاعر الداخلية، واستلهموا أحداث العالم الإسلامي»،[39] فكانت حركتهم يقظة تبعتها نهضـة استمرت، إذ جاء بعدهم شعراء مبدعون، كعمر أبي ريشة، والجواهري، وأحمد سليمان الأحمد، وإبراهيم ناجي وغيرهم، تبنوا فكر هذه المدرسة، وأسهموا في تطويرها واستمرار التجديد فيها، ومن يتابع الساحة الشعرية اليوم، ويرجع إلى خمسين عاماً مضت يجد شعراء أفذاذاً لا يكاد يحصر عددهم، حافظوا على الأصالة بلغة وأسلوب معاصرين، منعهم من الانتشار القمعُ السياسي أو الفكريُّ أو الإعلام الذي تبنى الاتجاه الغربي في الأدب عموماً، والشعر المنثور وشعر التفعيلة خصوصاً، وروّج لهما وحاصر الشعر التقليدي ذي الشطرين، وفرض على أذواق القراء أشـعار الغربيين من أمثال لوركا، ومن سـار على نهجه من العرب، لكي يسـيطر هذا النوع أو الشـكل وتنشـأ عليه أجيال تنقطع عن تراثها فيهمل ثم ينســى، وصـــار الشــعر يتجرأ على الأخلاق بحجة الواقعية، ثم تجرأ الشـعراء على الدين بحجة التقدم، وهكذا تدريجياً حتى تجرؤوا على الذات الإلهية بحجة الرمز أولاً، ثم الحرية الاعتقادية في ما بعد، إلا أن ذلك لم يفت في عضــد الشــعراء الواعين، الذين أدركوا مغزى الحداثة بمفهومها الأوربي، وســـعيها الحثيث إلى تذويب الأدب العربي في الأدب الغربي وقطعه عن جذوره، فحافظوا على منهجهم في شعر لم ينشروه، لكنه محفوظ، وبدأت الآن تظهر قصائدهم في الشابكة، وبهؤلاء وسابقيهم أثبت الشـــعر العربي أنه قابل للتجديد والتطوير، وتجلى في نتاجهم جانب «الحداثة» من حيث كونها مفهوماً

---

[39] ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

حضارياً، عكست مراياه صور الصياغة الجمالية للإنسان العربي، ليس في همومه العاطفية أو احتياجاته الاجتماعية فحسب، فقد وثق مفاهيم أصيلة، وجيَّر أخرى دخيلة بما يتوافق مع المجتمع العربي والقيم الإسلامية، ودحض مفاهيم خاطئة، وفضح أخرى خادعة، فكان وجهاً جمع بين الجمال في المبنى، والإبداع في المعنى، جذوره أصيلة، وثماره معاصرة، وهو وحده الذي يُعَدُّ صانع الثورة الحضارية المعاصرة، ويمثل واحداً من أهم مقومات الحضارة العربية الحديثة، ولم يكن وجهاً سياسياً للغرب ولا للشرق، وإنما عبر بصدق عن مشاعره وعن واقع أمته، وحمل آلامها وأوقد مصابيح آمالها، وطرح الحلول لمشكلات المجتمع والإنسان من خلال رؤيته، التي لم تقطع جذورها ولم تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وبانتشار التقنية فُتح المجال أمام «المكتّمات» و«المقموعات» من كنوز حقيقية في الشعر والنثر، وأمام الأدب الذي تُعرِض عنه الصحف والمجلات المسيسة والمراكز الأدبية المأجورة أو التابعة للغرب، أو التي يرأسها أو يوجه مسارها خلفاؤه وأصابعه في بلادنا، كما أتاحت وسائل التواصل إعادة نظر المثقف العربي في التاريخ الذي كتبه أولئك في العقود التي تحكموا فيها بمسيرة الكتابة بكل أنواعها، ونقّبوا في سير وآثار الشخصيات التي قدمها الغرب، أو الحكومات المدارة من قبله، على أنهم قدوات في الفكر والأدب، واكتشفوا الحقائق المخفية عن انتماءاتهم أو استغلالهم، فأعادوا النظر في أنواع الأدب والاتجاهات النقدية، فبدأت تظهر رؤى حداثية حقيقية بمعنى التجديد، انقضت على المدوَّن الخادع، وبدأت تنثر بذور رؤاها بحُرية، ليتلقف غرسها المثقف ويقارن ويستنتج، فيتسع إدراكه وتتعدد معارفه وينمو ذوقه، ولم يعد ذلك المتلقي الصامت الذي يتعامل مع نتاج فلاسفة الغرب ومنظريهم ونقادهم بتلك القدسية التي كانت لدى الجيل السابق، وخصوصاً بين مثقفي الشعوب التي تحررت نوعاً ما من السيطرة السياسية المهيمنة على كل شيء، فعلى سبيل المثال؛ شارك شاعر عُماني في مهرجان شعري أقامته جمعية سورية في المهجر، كان أحد أبياته:

أتعالى على الحروف كأني     قيل عني سبحانه وتعالى

فقامت الدنيا ولم تقعد، وعقدت لذلك ندوات، وكُتبت مقالات، وانتشرت دعوات إلى مقاطعة الجمعية الأدبية، ما أجبر الجمعية على الاعتذار بأنها لم تكن على علم بمضمون القصيدة، فكانت الإجابات: «كان يجب إنزاله من المنصة فور تلفظه بهذا الكلام». ومثل هذا الموقف لم يكن ليحصل في ظل نظام سياسي «صنيعة

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية

https://journal.ziu-university.net

Issue: N25 ISSN: 2958-8537 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 435-458

Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing



للحداثة السياسية الغربية» يحمي هذا الاتجاه ودعاته، فما بين السبعينيات والتسعينيات أُلقيتْ في دمشق نصوص تحوي مثل هذا التجديف، فلم يجرؤ أحد على الاعتراض عليها في الحضور ولم يكن الإعلام ليسمح لمعترض أن يعترض من خلال منابره، وكانت هناك محاولة لمحمد فهمي الحمدان، الذي نشر كتيباً تنول فيه أشعار نزار قباني التي فيها كفر صريح، وعنونه بـ«أما لهذا الفاسق من يبعج بطنه؟» اقتداء بمقولة واصل بن عطاء في بشار بن برد: «أما لهذا الأعمى المشنف المكنى بأبي معاذ من يقتله»؟! أمّا في مصر فالوضع مختلف، فقد كتب الرافعي «تحت راية القرآن» تفنيداً لكتابات طه حسين، وكذلك فعل محمود محمد شاكر في «أباطيل وأسمار»، لكن في سورية كان الوضع مختلفاً، إذ هناك رقابة مشددة على القصيدة التي تلقى على منبر، وليس على مجرد طباعة كتاب ونشره، فطباعة الكتب يجيزها «اتحاد الكتاب العرب»، أما الكتب التي تنحو منحاً دينياً أو تعارض الفكر المناوئ للإسلام فإجازتها من «القيادة القطرية لحزب البعث» الذي يدير دفة الفكر بأسلوب علماني، كما هو معلوم. وأعرف عدداً من الكتاب أُرجعت إليهم كتبهم مع «عدم الموافقة» على الطباعة، فطبعوها خارج سورية ولم يسلموا من الملاحقة الأمنية! لكن اليوم فتحت المنابر الإعلامية أمام الأصوات التي كانت مكبوتة وكسرت قيود القمع الفكري الذي تمارسه تلك القوى السياسية. ولعل أهم ما نلحظه اليوم في هذه المواقع والتجمعات الأدبية هو غياب الشعر المنثور، وتقلص شعر التفعيلة، أمام روائع ما ينشر المعاصرون من شعر يجمع بين الأصالة والحداثة بمفهومها الإنساني التجديدي لا الغربي التخريبي، أما المواقع الليبرالية والإلحادية فما زالت تجتر كتابات مظفر النواب ومحمود درويش وعبد المعطي حجازي وأمل دنقل وصلاح عبد الصبور ويوسف الخال، وأضرابهم من الملاحدة الذين اتبعوا الحداثة بمفهومها الغربي، وبذلوا جهدهم في الانقطاع بنتاجهم عن الثقافة العربية دينياً وأدبياً، ليمهدوا لجيل ينقطع انقطاعاً تاماً عنهما، والأيام المقبلة حبلى بكثير من النتاج الذي تلوح إرهاصاته اليوم في المواقع الأدبية ومواقع التواصل الاجتماعي، مبشرة بشعراء وأدباء مبدعين، وبنقد أدبي حديث واعٍ وسويٍّ يخرج على نظريات الغرب الخادعة، بل ويهدمها، ويرسم للأدب طريقاً صحيحاً يستمد مادته من الجذور ويضيف إليها معارفه وثقافته وذوقه في إطار الثوابت وإدارة المتغيرات بالشكل الصحيح، وسيكون لهم دورهم في بناء الإنسان والمجتمع، وفي رفع البناء الذي أسسه ورفع أعمدته سابقوهم من الإحيائيين، ونأمل أن تتجه الجامعات والمؤسسات العلمية إلى

Issue: N25 ISSN: 2958-8537 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 435-458
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing


كسر القيود الفكرية التي ترزح تحتها المناهج التي وضعتها الأصابع الخفية لأولئك، وتعمل على إنشاء أدب ونقد حديثين ينطلقان من تاريخ أمتنا وفكرها ومنظومتها الأخلاقية، ليشاركا في بناء مجتمع بصير واعٍ نقي قوي حر.

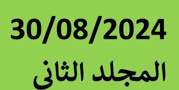
**الخلاصة والاستنتاجات:**

مما سبق نستنتج أن الحداثة ليست كما ادعى منظروها وحملة لوائها، وإنما هي غزو ثقافي اقتصادي سياسي فكري اجتماعي ناعم، وقد امتطت الأدب العربي المعاصر، خلال قرن من الزمان، وظهر أثرها في نتاج أدباء تدرجوا سيراً في طريقها حتى أفضى بهم الأمر إلى الإلحاد، بل والتهتك الأخلاقي والهرطقة والتجديف بالتعدي على المقدسات وأولها الذات الإلهية، وقد ترك هؤلاء أثراً في ثلاثة أجيال أو أربعة، لكن في المقابل كان هناك أدباء أرسخ جذوراً، فلم يجتلهم إعصار الحداثة، وإنما ثبتوا وجيروا الحداثة نفسها لمصلحة الأدب العربي، واستفادوا من جيد نتاجها في تلاقح الثقافات، فأنتجت أدباً راقياً وأبرزت جيلاً من الأدباء تمثل بجماعة مدرسة الإحياء ومن سار على نهجهم من بعدهم. ومع غلبة المتغربين إعلامياً، التي خفضت صوت الإحيائيين خلال الأعوام الخمسين الأخيرة، إلا أن الصحوة الأدبية قامت بانتشار قنوات الشابكة، وما تشهده الساحة الأدبية اليوم تراجع في الشعر النثري وقصيدة التفعيلة، ونهضة قوية في الشعر العربي ذي الشطرين، لمن ما تزال هناك بعض المضامين المتأثرة بأساليب الحداثيين، وخصوصاً في جانب الجرأة على المقدسات إلى حد التجديف والهرطقة، إلا أن الطاغي في الساحة اليوم من شعراء وشواعر وأدباء وأديبات مبشر بنهضة أدبية سيكون لها دورها في تغيير الواقع العربي والإسلامي وتخلصه من التبعية الغربية بك سلبياتها.

**التوصيات والمقترحات:**

في موازاة هذه الصحوة الأدبية، أقترح الآتي:

1- اتخاذ خطوات جدية في شأن الأدب المعاصر (اليوم)، الذي أكثر انتشاره في مواقع التواصل، بمتابعة الأدباء وفتح أبواب النشر لجيد نتاجهم.


30/08/2024
المجلد الثاني

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
ISSN: 2958-8537 Issue: N25 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 435-458
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing




2- إقامة المحاضرات والدورات لإحياء فنون البيان العربي من البلاغة وعلم المعاني وعلم الدلالة، للتعامل مع النص العربي من خلال أصوله وقواعده التي تعنى بجماليات الأسلوب وفنون البيان الذي يمثل القرآن الكريم أعلى مستوياته دون أن يتوافق مع نظريات الغرب الحديثة التي أخضعت الأدب العربي لقوانينها.

2- الدعوة إلى مؤتمر يضم المخلصين من المفكرين والأدباء، لإعادة النظر في النقد المعاصر الذي يستمد كل رؤاه من نظريات الغرب وفلسفاتهم، للعودة بالنقد إلى جماليات اللغة العربية، وهي كثيرة وواسعة، ليعامل النص العربي بالمعايير العربية.

3- دأبت الجامعات العربية على تدريس النقد العربي القديم، أما المعاصر فتدرس نظريات الغرب التي أدخلها في المناهج أتباعهم من بني جلدتنا، ومع أننا ظهرت عندنا في القرنين الأخيرين دراسات نقدية حديثة إبداعية عند عدد من الأدباء، كالرافعي وسيد قطب وأمثالهم، إلا أنها بقيت محصورة في كتبهم، وما نوده أن تتجه الجامعات إلى تعريب النقد، أي العودة بمفاهيمه إلى قواعد النقد العربي القائم على جماليات لغة القرآن الكريم.

## قائمة المراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، تحقيق محمد عزير شمس، ط3، دار عطاءات العلم، الرياض، السعودية، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.
- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، ط5، دار المعارف، القاهرة، مصر، من دون تاريخ.
- أبو فهر، محمود محمد شاكر، مداخل إعجاز القرآن، ص147 - 148.
- البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء صَوّرها محمد زهير الناصر عن الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق، مصر، ١٣١١هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، وطبعها الطبعة الأولى لدى دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تحقيق محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

السياب، بدر شاكر، ديوان السياب، دار العودة، بيروت، لبنان، من دون تاريخ.

– الكواكبي، عبد الرحمن، أم القرى، ص134، ط5، دار الشرق العربي، حلب، سورية، 1996م.

– حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية إصدار سلسلة عالم المعرفة، الإصدار 272، مطابع الوطن، الكويت، 1422هـ -2001م.

– درويش، محمود، أوراق الزيتون، الأعمال الأولى، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، 2005م.

– سامي، عمرو، الحداثة والتغريب للأدب العربي: المضامين والوسائل، شبكة الألوكة: https://majles.alukah.net/showthread.php?t=133364

– سبيلا، محمد، مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، من دون تاريخ.

– عباس، إحسان، بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره، ط2، دار الثقافة، بيروت، لبنان،1972م.

– فاضل، جهاد، قضايا الشعر الحديث، ط1، دار الشروق، بيروت، لبنان، القاهرة، مصر، 1404هـ – 1984م.

– مندور، محمد الأدب ومذاهبه، منتدى سور الأزبكية، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، من دون تاريخ.

– هاني، إدريس، صدمة الحداثة، أو ميلاد إشكالية الحداثة في الخطاب العربي والإسلامي، مجلة الكلمة، المجلد 12، العدد 48، 30 حزيران (يونيو) 2005.

– مجلة الثقافة الوطنية، يصدرها حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوي، مصر.

– الحراك النسوي في العمل الإسلامي والتحديات المعاصرة، حيدر حب الله، محاضرة: https://www.youtube.com/watch?v=ciqvV-aV-bw&t=333s

– ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.